

له الكاهن الطبي تيرزياس عن المصائب التي لابد من
تجنبها قبل أن يصل إلى بلاده — وقد عرف له
الكاهن ثم أتى أمه وكلها فأخبرته عما صنع عشاق
زوجها بنوب بقصره وما كان من ولده تليها — ثم
كلم أشباح طائفة كبيرة من عذارى اليونان وأبطال
الحرب الطروادية أمثال أخيل وأجاكس وأجاممنون
— وناد أدرجه إلى جزيرة سيرس — وهو هنا
يتم قصته »



الأوديسي

لهوميروس

بقلم الأستاذ دريني خشبة

فهرسة قصة أوديسوس

« لما وضعت حرب طروادة أوزارها أقنع أوديسوس
— بطل الأوديسة — نفسه قبل أن يقدم الفرائين
لآلهة فقطت عليه أن يشق طريقاً في عرض البحر
— وقد أعار في طريقه على مدينة إزماروس ولكن
أهلها كروا عليه فأخرجوه ورجاله من مدينتهم — ثم
مر بأرض اللوتوفجي وهم قوم يأكلون اللوتس العجيب
الذي ينسى آكله كل ما فيه ولا يقبل حين يأكله أن
يعود إلى وطنه — وقد أكل بعض رجاله من هذا
التمر ولم يرضوا بمغادرة الجزيرة حتى ذهب إليهم وأعادهم
إلى سفله بالقوة — ثم أرسوا على جزيرة السكالية، وهم
مخلوقات بحرية ولكل منهم عين واحدة، وقد حبسهم
أحدها في كهفه وراح يفتلهم طائفة بعد طائفة حتى دبر
أوديسوس حيلة سمل بها عينه وفر يقيقرجائه من وجهه
— وأرسوا بعد ذلك بجزيرة عروس البحر سيرس التي
سحرت بعض رجاله فأصبحوا خنازير إلا واحداً فر
يخبر أوديسوس الذي أتى هراً من رسول السماء فنصحه
وزوده بعشبة لا يسحر حاملها يسحر ساحر — وقد
استطاع أوديسوس قهر سيرس فأعاد رجاله إلى صورهم
ونزلوا في ضيافتها جميعاً بعد أن أقسمت أن تحفظ الأقسام
ألا تلحق بهم أذى — وقد نصحت لأوديسوس أن
يذهب في رحلة إلى الدار الآخرة — هيدز — ليعرف

أوديسيوس يتم قصته
١ - السرينات المغنيات
٢ - سكيللا الهولة

« والآن، وقد احتملنا الباب ذو الشبج
وذرعنا اليم المتراخي، وعمتنا نضرب في موج كالجال،
فقد وصلنا بعد لأي إلى جزيرة إيليا المرجانية حيث
ترتع أورورا ابنة الفجر الوردية وتلمب، وحيث
مطلع الشمس وراء البحر المضطرب... وأقمنا
مراسينا، وتلبشنا فوق رمال الشاطئ قرب انبلاج
الفجر، حتى إذا لاحت تبشيريه أرسلت طائفة من
رجالنا إلى قصر سيرس فأحضروا جثمان إينور
(الذي خر من السطح فدق عنقه)، ثم إننا بكينا
عليه أحر البكاء، وجمعنا له من الحطب والخشب
ماوسعنا، وطرحناه وسط الكومة التي صنعناها
من هذا الوقود، وطرحناه معه سلاحه، وأقمنا إلى
جانبه مجدافه العظيم؛ ثم أدبنا له الشعائر الجنائزية
التي أرويناها بأزكي دموعنا، وأشعلنا النيران بعد
إذ أقمنا له نصباً جليلاً، تحية وذكري. ولم تعلم
بعودتنا سيرس؛ بيد أنها مع ذلك أقبلت في ررب
من وصفاتها الحسات الأتراب يتهادين نحونا،
حاملات دنائنا من أكرم الخمر... ووقفت بيننا
العروس الهيفاء، ثم قالت: « ويحكم أيها الأشقياء

يخطر السيرينات بين شجر البوق مهاديات
فوق السندس الحلو الجميل ... فأوصيك أن تفرغ
في آذان رجالك من سائل الشمع قبيل أن تبلغ
أرضهن ، فأنهم بذلك لا يسمعون شдохن ولا
يسحرون بغنائهن . أما أنت ، فلك أن تنصت إلى
ذاك الغناء إن شئت ؛ بيد أنه ينبغي أن يشد رجالك
وناقك في قلع سفينتك شداً قوياً محكماً ، فيربطون
ذراعيك وساقيك بأمراس وأحبال ، حتى لا يسبيك
ما يشنف أذنيك من غناء وشдохن فلا ترضى إلا أن
تقوى بأرض السيرينات ؛ فإذا اشتد بك الوجد
من سحر ماتسمع وطلبت إلى رجالك أن يخلوا عنك
لزم أن يزيدوا في رباطك ويحكموا وناقك أضعاف
ما فعلوا بك من قبل . . . فإذا جُرِّمَ تلك الجزيرة
وغابت مناظرها عن أبصاركم ، فلرجالك أن يطلقوا
سراحك ... على أنني لا أدري أي السبل ينبغي أن
تسلكوا بعد هذا ، فهناك طريقان أحلاهما مر ،
وأيسرهما غناء وضر ، وإنى واصفة لك كليهما ،
وأدع لك كالك أن يختار لك . . . إنكم بالفون في
سبيلكم إلى صخور هائلة ناتئة في البحر ، تنكسر
فوقها أواذيه ، وترطم بجلاميدها أمواجه ، وتدافعه
على أحيادها أمفترت (زوجة نيتيون) الجبار .
وقد أطلق الآلهة على هذه الصخور اسم (إراتيك)
وهي قلال موحشة لا يستطيع مخلوق أن
يقرب منها ، ولا يجسر الطير أن يهبط فيها ، بل
طير أيننا چوق نفسه الذي يحمل إليه غذاءه
الإلهي القدس ، لم يجازف مرة فخط فيها يستجم
من سفر ، لما يعلم من أنها مهلكة زرقعة . ولم
ترس عندها سفينة قط إلا ارتطمت فوق نتوئها
وهوت إلى القاع بمن حلت ، أو ابتلعها العواصف

كيف حالاً لكم أن تموتوا مرتين بينا يموت جميع
الناس مرة واحدة ؟ ولكن تعالوا ، هلموا إلى
طعامكم ، وتحسسوا من هذه الخمر لتقضوا يومكم
فوق رمال هذا الشاطئ في شراب وآكال ، فإنكم
ضاربون في ظلمات ذاك البحر فجّر غد . وإنى
منبتكم عما يرووكم في طريقكم عسى ألا تضل بكم .
وياما أكثر ما تتجشمون من أهوال في البر والبحر !
ولبينادعوة الربة المضياف ، فأقبلنا على طعام شهى وشراب
روى طيلة يومنا ، حتى إذا توارت ذكاء بالحجاب ،
وشملنا ظلام الليل ، تطرح رجالى فوق الرمال الناعمة ،
ثم انتحيت أنا وسيرس ناحية ، وجلست قبالتها ،
وراحت هي تحدثني وتقول : « أما وقد أوشكت
متاعبك أن تنتهي ، فاصنع لى ؛ إفقه ما أقوله لك
وتدبره ، فهو وحي يوحى إليك من السماء ينفك
إذا جد بك الجد ، وأزفت حولك الآرفة ... ستصل
أول ما تصل في رحلتك عبر هذا البحر إلى جزيرة
السيرينات الشاديات اللانى يسحرون بغنائهن
القلوب ، ويخلن بجرسهن الأبواب ، ويطنين^(١) كل
من أوصله سوء حفظه إلى جزيرتهن بحلو تطربهن
وجيل شдохن حتى ليلصق بأرضهن وينسى آله
وأوطانه ، ولا يخطر فى باله أن يعود إلى بلاده لينأى
بلقاء زوجته الحبيبة وأولاده الأعزاء ، بل يجمد
مكانه من الشاطئ حيث يكون يسمع من السيرينات
وتكون عن يمينه وشماله رفات الضحايا الكثيرين
الذين عرجوا من قبل ليشنفوا آذانهم بغناء أولئك
الغذارى فحمدوا مثله ، وذهلوا عن أنفسهم حتى
ذووا ، وذبوا وضووا ، وحق بهم الغناء بينا

الهوج فغابت حيث لا يدرى أحد . ولا يعرف أحد سفينة جازت ممالك هذه الصخور إلا السفينة (أرجو) التي حاطتها جونو^(١) برعايتها رحمة بجاسون وحناناً من لندن سيدة الأولب ، حين أقلمت من جزيرة إيايا ، وقوام تلك الصخور هضبتان شامختان شاهقتان ، تمثل إحداهما صنما هولةً ضخماً يضرب في السماء بروقه وتتراكم فوقه منذ الأزل ثقال السحاب التي لا يذيبها خريف ولا صيف ، لأن الشمس لم تنشر عليها أشعتها قط .. ولو أن أحداً من العالمين له عشرون يداً وعشرون رجلاً ما استطاع أن يرقى عليها أبداً ، لأنها ملساء ناعمة كأنما صقلتها يدا مثال صناع ... وإن في سنده الغربي لكهفاً سحيقاً نُقِرَ ثمة باسم إربوس^(٢) ، وإني لأحذرك أن تقترب منه حين تجوز به يا أوديسيوس ، بل كن بنجوة منه ، بعيداً بقدر ما تستطيع ، أو على الأقل على مرمي سهم مراش من سفينتك إلى وصيده ؛ ذلك لأنه مأوى سكيللا الخيفة التي تدوى بصوتها وعواثها ، ويفرق الناس والآلهة من وجهها المكتم القبيح ؛ وحسبك أن تعلم أن لها اثنتي عشرة قدماً كلها أمامية ، وأن لها ستة أعناق طوال ينتهي كل منها برأس كبير فظيع ، سلح بثلاثة صفوف من أنياب حديد أصلها ثابت ، وحشوها سم زعاف . وهي تربض في غور كهفها السحيق ، بينما أروسها بارزة من فوهة الكهف تبحث في الماء عن الدلافن وكلاب البحر ودواب الماء وجميع حيوان مملكة امفريت ... وليس يحسر بحار أن يفخر بأنه نجا مرة من شرها

(١) هي حيا روج زيوس كبير الآلهة .

(٢) إله الظماء الذي تزوج من أمه (نيلاه)

فهي تنقض كالصاعقة على السفينة العابرة ، وتلتقم بأفواها الستة الجائعة ستة من بحارتها مرة واحدة تقضمهم قضمًا ... وتلقاء هذه الهضبة ، هضبة أخرى على مرمي سهم يا أوديسيوس ، وقد كُتبت فوقها تينة برية كبيرة ذات أفنان وعساليح حانيات فوق الماء ، وتحتها عين خاريديس الخمئة التي يغيب فيها ماء البحر كله ثم تعود فتمججه ثلاث مرات في اليوم . ويك أوديسيوس : خذوا حذركم ! فوالله إنكم إن دنوتم منها فإنها تبتلعكم ، ولا يستطيع نبتيون نفسه بعد ذلك أن ينجيكم . وإني أرى أن تدنوا من الصخرة الأولى فتلتمكم سكيللا ستة منكم ، فهو خير لكم من أن تفرقوا جميعاً » وسكتت سيرس ، وقلت أسألكها : « بحق الآلهة عليك ياربة أن تُخبري : أما أستطيع أن أنقذ رجالي الساكنين من سكيللا إذا نجونا من خاريديس ؟ » فقالت تيجيني : « أيها التعس ، أما تفتأ تحن إلى مجازقات الحرب وخوض غمار الوغى ؟ إنه لا سلطان للآلهة نفسها على سكيللا ، وهي ليست مخلوقاً مما يجوز عليه الفناء . بل هي غول سرمدى شديد المراس ، شكس شديد الشراسة ، لا يغالب أحداً إلا غلبه ؛ فأطلق سفينتك للريح ، ولد منها بالفراز . وإياك أن تفكر في التسلح لها ، فهي لا بد ملتقمة ستة من رجالكم إذا حاولت مدافعها فإنك منهم ! فإذا بمدت قاضرع إلى كراقيس ، أم هذه الهولة التي هي إلى الأبد طاعون للبشر ، أن ترد كيد ابنتها عنكم فلا تتبعكم في سبيلكم ولا تلتقم منكم أكثر مما فعلت ... وإنكم بالفون (تريناشيا) بعد هذا حيث ترعى الربتان الحسانوان : لميتيا وفيتوزا ابنتا هيريون من عروس الماء نيرا ،

إن أردتم أن تكون بنجوة من الملك في تلك الأرض الملعونة) . وهكذا نهت غافلهم بتحذيري . ثم إننا انطلقنا في اليم ، وأخذنا تقترب من جزيرة السيرينات ، وعرفت ذلك لما هدأت الريح فجأة ، ونام الموج ، وخفت أنفاس الطبيعة ، وشمل الركود كل شيء حولنا ، كأننا مسحت يد مقدسة علوية كل هذا الوجود الرحب . ونشط الملاحون إلى مجاذيفهم فالتع تحبها بساط الماء ، ثم نشطت أنا إلى قذر من الشمع فعالجته بسكين . ثم قومته براحتي وتركته كي يلين قليلا في أشعة الشمس ، ثم جعلت منه في آذان رجلى واحدًا فواحدًا . . . واستسلمت لهم بعد هذا فتدوا وثاق في شراع السفينة شدا محكما ، وجلس كل إلى مجذافه . وانسربت الفلك في الماء تشقه وتجر جر فيه . . . وصرنا على مدى ما يبلغ الصوت من الجزيرة إلى آذاننا فأصغيت وأصغيت ، وإذا السيرينات الشاديات يتغنين هكذا : « أودسيوس أيها الزعيم ! يامن لمحج بذكره كل لسان »

« أنق في جزيرتنا مراسيك يا نحر اليونان »
« تلبث عندنا أيها العزيز وشنف أذنيك بأغانينا »

« فما من أحد جاز بجزيرتنا حتى عرج يتزود من هذا الغناء »

« ثم يقلع أسعد ما يكون ، وأفطن ما يكون »
« ذلك ونحن نعلم من أبناء ما أصابك كل شيء »
« ما خضت من معيمان طروادة ، وما أصابتك الآلهة من مصيبة ، وما لقي قومك في كل مكان »

قطعان أيهما السبعة التي يشمل كل منها خمسين شاة ذوات صوف ناصع كالشاح . . . وكل هذه الشاة يرعى ثمة باسم رب الشمس العظيم . فإذا كنتم حقًا تشوقون لبلادكم ، وتتحرقون شوقًا إليها ، فاحذروا أن تصيخوا تلك القطعان بسوء ، فإنكم إن فعلتم غرقت بكم سفينتكم وذبح رجالك أبديد . أما أنت ، فتنجو بعد كل شيء وبعد فضال وأهوال ، فتصل إلى بلادك ملومًا محسورًا : »

وتنفس السبح الندي الرخي فذهبت تتبختر وتجر أذيالها إلى قصرها النيف ، وذهبت أنا إلى الشاطئ ، فأيقظت رجلى وأمرتهم فجروا السفينة حتى استوت في الماء ، وردمت مراسيها ، ثم جلس كل إلى مقعده ، وأعملوا أيديهم في مجاذيفهم فتدافعت الفلك في البحر ، وما هي إلا لحظة حتى أرسلت سيرس ، الزهرة المقدسة ، نسيمًا رخا كان خير رفيق لنا ، إذ كفانا غناء التجديف ، فتعرجنا في المركب ، واشتدت الريح في غير عصف فأسرعت بنا ديرًا . . . ثم كلمت رجلى وفي قلبي وجيب فقلت : « أيها الأصدقاء تعالوا أحدثكم عما تنبأت به سيرس لنا في رحلتنا هذه ، فانه سيان إن أفلتنا من العذاب أو تردتنا فيه ؛ بل أردت أن أطلعكم على ما خبأته المقادير لنا لتأخذوا حذركم ، وتبرموا أمركم ، ويكون كل على نفسه وكيلا . لقد حذرتني أن يستمع أحدكم إلى غناء السيرينات الشاديات وحلو نظريهن ، وأجازت لي وحدي أن أصغى إليهن ؛ بيد أنها أوصتني أن أخبركم أن تشدوا وثاق بأمم الأمراس في سارية السفينة فلا تطلقوا سراحى حتى نبعد عن جزيرتهن . وكلما رجوتكم أن تخلصوا عني شددتم وثاق أكثر فأكثر (هذا

« تعال تعال ... هلم نحدثك فعندنا علم كل شيء » .

وهكذا شرع المذارى يسكنن إرناهن الجميل في قلبي ، وكأنا كنا كن ينفتن فيه السحر فيصنن ويصنن ونلح عليه الرغبة في الإصغاء ، ورحت أنا أضرع إلى قوى أن يفكوا قيودي ويطلقوا سراحي ويخلوا بيني وبين أولئك السيرينات المطربات ، فلم يسمعنوا لإشاراتي ولم يستجيبوا لتوسلاتي ، بل هب يوريلوخوس وبرميديس فضاعفوا أغلالى وشدوا على حبالي ... ثم بعدنا ... وظللنا نبعد ونبعد ، حتى إذا كنا حيث لا يصل إلينا من شدو السيرينات شيء ، نهض رجالى فأزالوا ما كنت قد جعلته في آذانهم من الشمع ، ثم عمدوا إلي فأطلقوا سراحي ... وما كادوا يفعلون حتى أبصرت في ظلام البعد موجاً كالجبال كأنه ظلمات بعضها فوق بعض ، ودخاناً كثيفاً ينمقد في الجو ، ثم إذا بي أسمع رعداً قاصفاً يصم الآذان ؛ وقد ذهل رجالى عن أنفسهم ، وطارث المجاديف من أيديهم فلم تعد تُجدهم نفعا ، ووقفت السفينة كأنها الأرجوحة على رأس الموج ؛ وذبحت أنا أشجعهم رجلاً فرجلاً : « أيها الرفاق ؛ ها نحن تلقى أولى عقباتنا ، وهى ليست على كل حال أشد هولاً من مصيبتنا يوم حبسنا السيكلوب في كهفه السحيق ، وكيف احتلت لفرارنا من وجهه ؛ وسيأتي يوم نذكر تلك الشدة المفاجئة بمثل الغبطة التى نذكر بها الشدائد السوالف ... هلموا إذن ، اثبتوا في أماكنكم ، واصمدوا لهذا اللج المصطخب ، واضربوا فيه في جلد وصبر ، عسى أن يكلاكم جوف ربكم فينجيكم منه . وأنت أيها الربان أصغ إلى ، إنك تقبض على ناصية الحال ، فتحاش أن تقرب من

هذا الدخان وتلك الأمواج الثائرة ... إبتعد ما استطعت عنها ، وخذ سبيل هذه الصخرة ، ذلك أدنى ألا تقذف بنا في حماة الخطر ... » وظللت أنفخ فيهم روح الصبر حتى فاءوا إلى أمرهم فاستقتلوا في مجاهدة الأمواج استقتالاً ... وتسلحت أنا بكل ما استطعت من عدة ، وجملت في يدي رمحين طويلين ، ووقفت أقرب سكيلا الهولة من بعد ، ولم أجسر أن أذكر كلمة عنها لرفاقى حتى لا تفرغ أفئدتهم فرقاً فيهربوا من عملهم ويكتظوا في بطن السفينة مخافة أن يمسه منها أذى ... وشرعنا نعب البوغاز ، ... ولشد ما أفرغنى أن أرى سكيلا ترمقنا وتلمظ ، وقد انتصبت كاللوت على الشاطئ ، القريب ، ثم أرى في الوقت نفسه خاربيدس على الشاطئ ، الآخر تمحرج في حلقها الرحب الفظيع عباب الماء ثم تمجه ، فكأنما تقذف من جوفها ماء فائراً يعلو في الجو كالبحر ، ثم ينهمر وبله في كل فج ، وتعود فيفيض البحر في بلومها ، ثم تقذفه ، وهكذا دواليك ... بالبروع ، وباللفزع الأكبر ؛ تالله لقد كنا ننظر ما تبدى خاربيدس وما تعيد في جزع وفي هلع ، بينما كانت سكيلا تتوثب وتتوثب ، ثم ترسل رأسها الستة فتلتقم ستة من رجالنا كانوا وا أسفاه أشجعهم جميعاً ، وكان قلبي يتمزق حين راحوا يهتفون بي ، وينادوننى باسمي وأنا كالذى أسقط في يديه ، ما استطيع شيئاً فأصنعه ، بل أنظر إلى أذرعهم وأرجلهم تتقلب في الهواء وهم يصيحون ويعولون ، وأنا ساكن ذاهل أقلب كفى ولا أفعل شيئاً آخر ؛ واحزنانه ؛ ما كان أشبه سكيلا التوحشة بصائد السمك الذى أطعم سناره وأرسلها من فوق صخرة تداعب السمكة المسكينة ،

أفرغ حتى انتصب يوريلوخوس يرد على في جفوة
وضيق : « أوديسيوس ، أيها القاسي الطاغية ،
أما أوهنت كل تلك الشدائد جلدك ؟ أخلق أنت
من حديد فما ترق وما تلين ؟ أتأبى على رجالك
الموهوبين المكودين أن يرسووا بهذه الجزيرة الفيحاء
المعشبة ليريفوا مما بها من آلاء ، وليطعموا من
خيرها الكثير ؟ أتصرفنا عنها بزقك وقلة بصرك
لنخبط طول الليل في هذا البحر الأجاج خبط
عشواء مع ما تكون الريح عليه حينئذ من شدة
وعنف ؟ خبرنا أيها الأحق ما ذا نصنع إذا عصفت
بنا نكباء من الجنوب تحطم فلكننا ولا ينجينا من
بطشها حتى الآلهة ؟ أليس الأفضل لنا أن نرسو
في هذه الجزيرة فنقضي بها ليلنا ، حتى إذا انفلق
الإصباح أقلمنا منها على هدى ؟ »

وحبذ الملاحون ما قال ، فدار في خلدى أن لا بد
مما ليس منه بد ، وأن لا بد من وقوع القارعة
الكبرى بنا ، فقلت في كلمات يائسات : « لا خير
يا يوريلوخوس ! وليس بي من بأس أن أخضع لما
تري الجماعة ؛ ولكن تعالوا جميعاً فأعطوني موثقم
ألا تدبحوا شاة ولا تجزروا نعمة مما هنا من هذه
القطعان ، مهما ألح عليكم السَّفْبُ ، وأضواكم
الجوع ... بل يكون حسبكم ما حلتكم من آكال
من عند سيرس »

وأقسموا أغاظ الأقسام أن يفعلوا ، ثم عمو
بالفلك في جون هادى ، ترتفع في وسطه نافورة
رائعة ؛ فأرسوا ثمة ، وتدفعوا إلى الشاطئ ،
وراحوا يعدون وجبة المساء ؛ بيد أنهم سرعان

حتى إذا حان الحين جذبها إلى عل تترنح هنا وهناك .
هكذا كانت هذه اللعينة التي جذبت إلى كهفها
أشجع رجالنا وراحت تقتات بهم بين الصراخ
والبكاء ، وبين التوجع والأنين ، وكأهم يمد إلى
ذراعيه مستنجداً مستغيثاً في قنوط ويأس ؛ ! أبدأ
ما وقعت عيناي في مشارق البحار ومغاربها ، بل في
جميع مخاطراتي ، على منظر أبعد للأسى ، وأمض
لنفس ، وأجرح للفؤاد ، من ذلك المنظر الرهيب !
وما كدنا نفلت من سكيللا وخاريديس بعد تلك
الفاجمة حتى اقتربنا من أرض الشمس ، حيث
ترعى قطعان هيريون^(١) الجميلة الكثيرة ذات الفراء
الناصعة ... ولقد كنت أسمع نغائها ورغائها إذ أنا
على ظهر سفينتي في عرض البحر . وسرعان
ما ذكرت ما قاله لي الكاهن الطيبي الأعمى ، تيرذياس
في هيدز ، عن هذه القطعان ، ثم ما أذرتني به سيرس
سيدة إيايا من وجوب الابتعاد عن هذه الجزيرة التي
كانت منذ الأبد غواية للبشر ، حتى قت في رجالي
جعلت أحذرهم وأقول : « أيها الرفاق استمعوا ؛ هذه
هي جزيرة الشمس المائلة التي حذرنا تيرذياس الكاهن
الطيبي من الرسو بها أو الاقتراب منها . وكذلك
حذرتني منها سيرس ربة إيايا ، فإن كل ما لقينا من
أهوال ليس شيئاً إلى الهول الذي يحيق بنا إذا حللنا
بها . فاستمعوا نصحى وسيروا بنا نذرع هذا البحر
نسلم من شر مستطير ، وبلاء لا يجيرنا منه مجير »
وكانوا يصغون إلى في حيرة وذهول ، وما كدت

(١) في بعض المصادر أن الشمس غير هيريون ، وفي بعضها أنها عور ، وفي بعضها أنه أحد سواس عربتها

مانسوا مسغبتهم حين تذكروا إخوانهم الذين غاثهم
سكيللا ، وراحت تفتدى بهم أمام كهفها السحيق
فأخذوا ييكونهم ويذرفون عليهم دموعهم حتى
غلبهم النعاس ، فناموا ... وفي الهزيع الثالث من
الليل ، حين عبرت النجوم فكانت في كبد السماء ،
ساق جوف رب السحاب الثقال ربحا جابت البر
والبحر ، وغمرت بها بماء منهمر ، ثم عقد في الكون
ظلمات فوق ظلمات يتدجى بعضها في بعض ... ثم
أشرق أورورا الوردية ، فبهضنا من مراقبنا ،
وسحبنا الفلك إلى غار كان لبعض عرائس البحر
يرقص به أو يستروحن فيه ؛ وما كاد شملنا يجتمع
ثمة حتى نهضت في رجلى أقول : « أيها الرفاق إننا
ما ينقصنا غذاء ، وما بنا من حاجة إلى أكل ، فعنا
من ذلك الشيء الكثير ، فياكم وأن تمسوا هذه
القطعان بأذى ؟ وحسبكم أن تعلموا أنها ملك خالص
لربة الشمس التي تراكم أيما كنتم » وهكذا أيقظت
في نفوسهم النخوة . ثم إنا لبثنا في تلك الجزيرة
شهرًا ما نريم عنها وما كان لنا إلى غيرها متحول ؛
ذلك لأن الدبور^(١) ظلت تهب من الجنوب في
صرامة وشدة ، فإذا هدأت ، لم تهدأ إلا لتهب ريح
شرقية أشد منها عنفا . لم يمسا قطمان الجزيرة
الساعة بأذى مادام لم ينفد ما كان معهم من طعام .
فلما تناقصت ميرتهم راحوا يتلمسون صيد البر
والبحر ، أما أنا فكانت أجوس خلال الجزيرة عسى
أن ألقى إليها أضرع إليه فيجعل لنا من أمرنا

مخرجًا ... وبينما أجوب الجزيرة إذا بي أبعد كثيرا
عن رفاقي ، فبدأ لي أن أسكن إلي مسطف دافئ ،
هادئ على سيف البحر ، فأغسل^(١) يدي مما علق بهما
من قدر ، ثم جلست أصلي للآلهة ، وأدعوها واحداً
بعد واحد أن تهني لنا من شدتنا مرفقاً ، ولكنها
جميعاً — وا أسفاه — أصمت آذانها عن دعائي ، ثم
أرسلت على طائفاً من الكرى ... فتمت نوماً
عميقاً ... بينما كان يوريلوخوس التمس يوسوس
إلى رفاقه فيقول : « أيها الأصدقاء : أنا أخوكم في
البلاء فاسمعوا وعوا . ليس أشنع من الموت إلى النفس ،
ولكن الموت جوعاً هو أشنع ألوان المنايا التي يرتجف
منها الإنسان ... هلموا ... لنذبح من هذه الشاة
والنعم ، ولنضح للآلهة أضخم ثيران الشمس ،
ولننذر أن نبني للرب المبارك هيريون هيكلًا عظيمًا
حالما نصل سالمين إلى إيثاكا ، ولننذر أيضاً أن نجعل
في الهيكل من الطرف والتحف ما يرضى الآلهة ويكفر
عن سيئتنا . أما إذا آثر أن يفرق فلكننا وتضافرت
معه جميع الآلهة على ذلك ، لأننا ألحقنا أذى بعدد
من قطعانه ، فاني أول من يجاهر بقبول الموت
مرة واحدة في أعماق هذا اليم ، على أن أموت
هذا الموت البطيء جوعاً ! » وزين لهم ما قال ،
فاستاقوا أسمن ما في القطعان التي كانت ترعى العشب
قريباً منهم ، ثم أطعموها أنضر أوراق الشجيرات
الباسقة إذ فرغ كل ما لديهم من الشعير ، ثم

(١) كان غسل اليدين كالوضوء عندما شرط لا تصح

صلوا للآلهة ، وجزروا الحيوانات البائسة ثم
ساختوها ، وفصلوا الأنفاذ والشحم ، وقذفوا بها
إلى النار مقدمة للآلهة وقرباناً . . . ولم يكن معهم
خمر ليطعموا بها الشعائر القدسية ، قذفوا في النار
بدلاً منها ماء قراحاً . . . وجلسوا بعد هذا يعدون
شواءهم من الحوايا^(١) والكبد وما إلى ذلك مما في
جوف البهيمة ؛ حتى إذا طعموا ملء بطونهم انطرحوا
في مراقدهم بينما استيقظت فجأة من سباتي ونهضت
لأنطلق في طريق صوبهم . وما كدت أشرف عليهم
حتى ملأ خياشيمي قنار^(٢) ما فعلوا ، فوجت وجوماً
شديداً ؛ ثم أجهشت ، ثم استخرطت في بكاء طويل
وضرعت إلى الآلهة وظللت أقول : « أهكذا يأرباب
السماء تلقون على ذلك الطائف من الكرى فيفعل
أصحابي ما فعلوا إذ أنا أغط في نوم عميق ؟ » . .
وطارت ليتيا بالخبر المشؤم إلى إله الشمس قنار تأثره
ولطف بصخب ويهتف بالآلهة ويقول : « يا جوف
العلی . وأنت يا آلهة السموات ! إثارى لما فعل
السفهاء من رجال أوديسيوس . لقد اجتروا وفجزروا
من نعمي وشأى التي هي بهجتى وأنسى والتي أرمقها
أبدأ من علياء السماء ؛ فإن لم تنتقم لي فوعزتي
لأهبطن بشمسي إلى هيدز فأنير آفاقها ، وأضي
أضوائى على الأشباح ثمة (وأدع هذا العالم المشرق
الجميل بضرب في دياجير ما مثلها دياجير . »
وأجابه رب السحاب الثقيل فقال : « يا إله الشمس

(١) الأمعاء .

(٢) ریح الشتاء .

على هينتك ؛ بل ظل مشرقاً على بنى الموتى الدائبين
في تلك الأرض ، وإني مسخر صواعق على سفينتهم
في عرض البحر في مثل ملح البصر فتذهب بها
وبهم أبديد . . . أما من أخبرني هذا فقد نبأني
به كليسو ، فقد حدثها به هرمز رسول الآلهة . . .
ثم وقفت فيهم أنتهرهم وأني عليهم ، ولكن . . .
وأسفاه ! أي انتهار وأي نبي وقد سبق السيف
العدل ! ثم حدثت المعجزة ! وبدأت السماء تشهد آياتها
فقد تحركت الجلود الملقاة على الأرض وزحفت نحونا
ثم سمعنا مضغ اللحم الغريز سواء منها ما ظل دون
أن يمس وما علق منها بالسفافيد ، وقد أرسل ثغاء
وخوار كأنها ما تزال على قيد الحياة . . . وهكذا ظل
رفاق يجزرون كل ثور حنيد من ماشية إله الشمس
ويقتنون بحواياها طوال ستة أيام ، حتى إذا كان السابع
أمرجوف الماصفة فهدأت ، والبحر فطمان ، فأهرعنا
إلى الفلك فأترنناه في اليم ، ونشرنا الشراع ، وأقلعنا
حيث لا ندرى ماذا يراد بنا ؛ ثم غابت الأرض
عن الأنظار ، ولم يكن إلا البحر من ورائنا وأمامنا
وعن شمالنا وأيماننا . . . ثم السماء من فوقنا . . . ثم
شرع زفيروس^(١) يهب ويهب ، ويقلب اللج من
حولنا ، ثم اشتد واشتد ، وصار ريحاً عاصفاً
هوجاء ، كسرت قلاعنا وحطمت سكاننا ، وذهبت
بقلب الربان المسكين فلم يعد له صبر ولا جلد . . . ثم
سلط علينا جوف صواعقه فقصمنا ، وحطم سفينتنا
فقرنحت أول الأمر ، ثم غاصت إلى الأعماق ،

(١) إله الصبا .

وطفونا على سطح البحر الغاضب بلا أدنى أمل في أى شىء، بله العودة إلى بلادنا... ولقد كنت أقرب حطام الفلك يطفو معنا ويفوص، حتى عن لى أن أعلق بالهراب القريب منى، فطويت عليه قطعة من الشراع الممزق وجملته لي تماماً لصقت به، بينما نامت الشمال لسوء حظى، وأخذت الجنوب تهب في عنفوان وبأس، وتدفعني بقسوة وقوة حتى خيل لي أنها ستنتهي بي إلى عين خاربديس الحمئة... يا للول! لقد مضى على ليل أيام ليل... حتى إذا أشرق ذكاء، رأيته وبالأأسف عند صخرة سكيللا، وعلى مسافة من عين خاربديس. ولحسن حظى كانت اللعينة قد ابتلعت كل مياه الشاطئ... ثم دفعتني موجة من الأعماق فاستطعت أن أعلق بأحد أغصان التينة الهائلة النامية فوق صخرتها، فبقيت لاصقاً به كالخفاش لا يمكننى أن أهبط أو أن أتسلق لعظم ما كانت الأغصان تبتعد من الأرض وتعتمد من حولى، ولأنها كانت تعرش من فوق خاربديس، حتى كنت أرتعد من فزع وهلع عند ما كنت أبصر تحتى فأرى العين الحمئة الملمونة تبتلع الموجة إثر الموجة؛ ثم رأيت الهراب وقطعة الشراع التى كنت عالقاً بهما بنقذ فانحوها ويكونان تحتى فطربت ولو أن هذا جاء متأخراً حتى رجع قلبي ووهنت قواي؛ وغمرني شعور الذى انفرجت أزمته، وكشفت عنه غمته، فهويت إلى الماء، وتعلقت بهما بقبضتين مستميتين... ويلاه على!! أواه! لو لمحتنى

سكيللا الهائلة طافياً هنالك! إذن ما استطاع إنقاذى رب الأرباب نفسه من خالها وأنيابها!! ثم بقيت هكذا تسعة أيام بلياليها... يصرعنى البحر وأصرعه، ويناضلنى الموج وأناضله، حتى رثت الآلهة لحالي فساقتنى في العاشر إلى أوجيجيا، جزيرة عروس الماء كليسو، فرسوت ثمة في ليلة ليلاء، مظلمة طخياء... وقد نالني من كرم العروس وجميل معروفها ما رد إلى قواي، وأثابني عما لقيت من شقوة وأرزاء...

ولكن لم هذا؟ لقد سمعتم قصتي مع كليسو من قبل، إذ رويتها للملك ولزوجه أمس، وإنى لأكره الحديث المعاد

(تمت قصة أوديسيوس)

دريتي ضئيلة

(ينبع)



تصحيح

نأسف ونعتذر لأن أربعة أسطر في صفحة ٩٠٢ من العدد الماضى وهي التى في أول العمود الأيمن وضعت مكان أربعة الأسطر التى في آخره فاختلف السياق وضاع المعنى. وتصحيحها بالطبع أن تنقل الأسطر الأربعة التى في آخر العمود إلى أوله، وتنقل الأربعة التى أوله إلى آخره، فيتصل الكلام